مجلة الشهاب • المجلد: 12، العدد: 03 (2026م) • ص ص 169 – 188
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في الآخرة
ـ دراسة في القرآن المكي والإعجاز الفني ـ

Depictions of the Fate of the Followers of Wrongdoers in the Hereafter
A Study of Meccan Qur'an and Literary Inimitability

زينب عبد العزيز*
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)
abdelaziz.zineb@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2026-07-23	تاريخ القبول: 2026-09-16	تاريخ النشر: 2026-11-15

****

ملخص:

من رحمة الله بعباده أن كشف في بداية تنزيل القرآن الحال والمآل، فبيّن للإنسان مآلات الاختيار بين الحق والباطل، وكأنه يهيئ النفوس لما سيكون مستقبلا، بل أبعد من ذلك، يريهم مصيرهم وأين سيكون مستقرّ خلودهم، وقد حاولنا في هذا المقال أن نربط بين هذا الجانب الإعجازي الكامن في القرآن المكي وبين مشاهد حال عاقبة أتباع الظلمة يوم القيامة، حيث أبرزنا وجها من مشاهد الآخرة، وبيّنا كيف برع التعبير القرآني في بناء وصياغة آيات العذاب بطريقة إعجازية لتكون إنذارا للمتلقي. وتوصلنا في الأخير إلى أن ورود مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في الآخرة في القرآن المكي إنما أسهمت في تثبيت العقيدة الحقّة التي تأبى الظلم وأي شكل من أشكاله، وترسيخ الأخلاق الحميدة، إعدادا وبناء لإنسان الرسالة والحضارة، وكل ذلك في قالب إعجازي يجذب النفوس ويستميل القلوب.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ أتباع الظالمين؛ التصوير الفني؛ علم المكي؛ الإعجاز الفني

Abstract:

As an expression of His mercy toward His servants, God made clear, from the earliest stages of the Qur'anic revelation, both the human condition and its ultimate destiny. He revealed the consequences of choosing between truth and falsehood, thereby preparing people for what awaited them. More than that, He showed them their final fate and the eternal abode in which they would dwell.

This article examines the relationship between this dimension of the Meccan Qur'an's literary inimitability and its depictions of the fate of those who follow wrongdoers on the Day of Resurrection. It highlights one aspect of the Qur'anic portrayals of the Hereafter and demonstrates the remarkable artistry with which Qur'anic discourse constructs and formulates the verses of punishment, presenting them in an inimitable manner intended to warn its audience.

* المؤلف المراسل.

The study concludes that the depictions of the fate of the followers of wrongdoers in the Hereafter, as presented in the Meccan Qur'an, contributed to reinforcing true belief, which rejects injustice in all its forms, and to instilling noble moral values. In this way, they helped prepare and shape individuals capable of carrying the divine message and contributing to civilization. All of this is conveyed through an inimitable literary form that captivates souls and wins hearts.

Keywords: The holy Qur'an; Followers of wrongdoers; Artistic Imagery; Meccan Qur'an; Literary Inimitability.

1. مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، أما بعد؛ فيشغل موضوع الظلم وأتباعه مساحة واسعة في الخطاب القرآني، لما يترتب عليه من آثار عقدية وأخلاقية وحضارية، وقد أولى القرآن المكي عناية خاصة ببيان مآلات الظالمين وأتباعهم في الآخرة، في نهي صريح عن الاتباع الأعمى، وهذا يبدو واضحا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]. فكيف إذا كان هذا الإتباع يندرج ضمن الانقياد للظالم والسير تحت قيادته، وموالاة أصحابها؟ بل ومحاكاة أفعالهم واقتراف ما هو أشنع وأفظع منها؟

يشهد الإنسان في مراحل حياته المختلفة صراع الحق والباطل، ومعركة الرذيلة والفضيلة، والمشادّة بين الخير والشرّ، وقد يجد نفسه قد انحاز لجانب على حساب جانب، وفق ظروف أو دوافع أو أهواء بدت له، وهو لا يدرك عواقب اختياره، وهذا ما أتى القرآن الكريم لينبّه عليه من خلال عرض نماذج وقصص ومشاهد في مواضع متعددة، فإذا ما تحدثنا عن مسألة الظلم، نجد أن المولى تعالى حرّمه على نفسه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: 182]، وحرّمه بين عباده: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: 40]، ولأن الظلم من الأسباب المباشرة المؤدية إلى الإفساد في الأرض، فإننا نتفهم استفهام الملائكة عن الحكمة من استخلاف من قد يفسد في الأرض: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30].

إن قضية الظلم شغلت حيّزا واسعا من القرآن الكريم، وتنوعت المفردات القرآنية المرتبطة به من قبيل الجور والشطط والبغي والإفساد والإجرام... وتعدّدت السياقات والمواضع التي ورد فيها والزوايا التي عالجها. ولأنه توجد بالفعل دراسات عديدة اختصت بجانب الظلم، أردنا هنا إبراز أحد مظاهره وهو أتباع الظالمين وأعوانهم، لكن ليس على سبيل فهم دوافعهم، بل إبرازا لعاقبتهم الأخروية، حيث كشفت حواراتهم عن حالتهم النفسية وندمهم على ما اقترفوا في الحياة الدنيا، ويعدّ التحليل الفني من أنسب المناهج للكشف عن هذا الجانب.

فكانت أهمية البحث تتمثل في كونه يبرز إعجاز القرآن المكي وبراعة تصويره البياني والأسلوبي في توضيح جزاء أتباع الظالمين، الذين انساقوا وراء الظالمين بدوافع مختلفة كالتقليد أو الطمع أو الخوف أو المصلحة... توهّما منهم أن ذلك سيشفع لهم يوم الدّين، وأمّا بخصوص من اتبعوا الظالمين محبة لهم

وطمعا في مقدرتهم على نجدتهم من السعير، فسيجدون أنفسهم جميعا شركاء مع الظلمة ولهم المصير نفسه.

ولذلك كانت إشكاليتنا المحورية التي انطلقنا منها هي: كيف أسهمت الأساليب التعبيرية في القرآن المكي في تصوير عاقبة أتباع الظالمين في الآخرة؟ وما الحكمة من كثرة ورود مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في القرآن المكي؟

ومن الأهمية والإشكالية يمكننا توضيح أهداف هذا المقال في الآتي:

- تحليل ودراسة مشاهد عاقبة أتباع الظالمين وحواراتهم.
- بيان العلاقة بين الآيات المكية والإعجاز الفني في توضيح عاقبة أتباع الظالمين.
- بيان الأثر التربوي والتوجيهي للمشاهد القرآنية في ترسيخ رفض الظلم والتبعية للظالمين.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مع توظيف التحليل البلاغي الفني للكشف عن مظاهر الإعجاز الفني في المشاهد القرآنية المكية المتعلّقة بعاقبة أتباع الظالمين.

ولأجل إحكام مفاصل الدراسة لا بد من استقراء ما سبق من دراسات في هذا الموضوع، حيث توجد بالفعل عدة أبحاث تناولت موضوع الظلم بشكل عام، وأهمها أطروحة نورة بن حسن بعنوان: الظلم في ضوء القرآن الكريم: حقيقته، أنواعه، أسبابه، آثاره، الوقاية منه، فقد تطرقت لكل ما تعلق بالظلم سيرا على منهج الدراسة الموضوعية، كما وقفت على مقالين للباحث نفسه وهو أحمد عبد القادر قطناني، الأول بعنوان: مشاهد أتباع الظالمين في سياق قصص القرآن الكريم: جنود فرعون نموذجا، والذي ركّز على مشاهد عاقبة أتباع فرعون في الدنيا، وعلى صفات الجنود وأفعالهم وسلوكاتهم التي تماثل صفات قادتهم، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على اشتراكهم في الفعل والعاقبة دون تفريق بينهم. والثاني بعنوان: مشاهد الحوار بين القادة وأتباعهم في القرآن الكريم . دراسة تحليلية ،. وهي دراسة تبدو مكمّلة للأولى حيث أضافت جانب المجادلة بين المتبوعين والقادة، وأوضحت كيف أبرز القرآن هذه الظاهرة التي تتكرر في كل زمان ومكان. وتختلف هذه الدراسة عن الدراستين السابقتين في اقتصارها على القرآن المكي واعتمادها مقاربة الإعجاز الفني في تحليل المشاهد الأخروية، وتسعى إلى إبراز الأبعاد العقدية والتربوية والجمالية لهذه المشاهد وبيان أثرها في ترسيخ الوعي القرآني الرافض للظلم والتبعية للظالمين.

2. مدخل مفاهيمي

1.2. مفهوم أتباع الظالمين:

الأتباع لغة من مادة (تبع)، والتي تعني السير في الأثر، فيقال: تَبِعتُ الشَّيء إذا سِرتُ في أثَره، وتَبِعتُ القوم إذا مَشَيتُ خَلفَهم، أو مَرّوا بي فمضيتُ معهم، والتَبعُ أيضا ما كان آخر الشيء[1].

(1) ابن منظور، لسان العرب، 27/8، 29/8.

وجاء في الكليات أن "تَبَع وَاتَبَعَ بِمَعْنى وَاحِد وَهُوَ اللحُوق. فأتبعهم فِرْعَوْن: أَي لَحِقَهم أَو كَاد. وَاتَّبعهُ: بِالتَّشْدِيدِ بِمَعْنى سَار خَلفه وَقيل: اتبع: بِقطع الْألف بِمَعْنى اللحُوق والإدراك؛ وبوصلها بِمَعْنى اتبع أَثَره، أدْركهُ أَو لم يُدْرِكهُ"[1].

وبناء على ذلك يقصد بالأتباع أنهم السائرون على أثر ساداتهم، واللاحقون بهم، الذين يتبعون أوامرهم ويمضون على نحو سيرتهم، وفي الاستعمال القرآني نجد هذا الجذر (ت. ب. ع) مستخدما بكثرة، ومثاله الذي يتعلّق بموضوعنا قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: 166]، ويعبّر عن الأتباع مرة بالجنود: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 39]، ومرة بالضعفاء: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: 47]، ومرة بالمستضعفين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 97]، ومن المشاهد التي تجسد علاقة الأتباع بمتبوعيهم قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38]، ولعل في تسمية الأتباع ما يجمع هذه التسميات والصفات كلها.

أما الظلم لغة فإنه يحمل معنيين "أحدهما خِلافُ الضِّياء والنّور، والآخر وَضعُ الشّيء غَيرَ مَوضِعِه"[2]، وأصله "الجَوْرُ ومُجاوزة الحدّ"[3]، ومن معانيه كذلك الميل عن القصد[4].

وعرّفه العلماء بأنه "التَصَرّف في حقّ الغير، ومُجاوزة حَدِّ الشّارع"[5]، وجاء في كتاب الغريبين أن الظلم يكون بمعنى "النُقصَان، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [البقرة: 57] أي: ما نَقَصُونا بِفِعلهم من مُلكِنا شيئا؛ ولكن نَقَصُوا أنفسهم"[6].

أما صاحب المفردات فإنه يحدّد مفهوم الظلم بدلالاته القرآنية الشرعية وهي الجهل والشّرك والفسق والكفر والنفاق، ويستعمل في الذنب الكبير والصغير، وهو على ثلاثة أقسام: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وظلم بينه وبين الناس، وظلم بينه وبين نفسه[7]، "وكلّ هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم

(1) أبو البقاء الكفوي، الكليات، 35.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، 468/3.
(3) ابن منظور، لسان العرب، 373/12.
(4) المصدر نفسه، 373/12.
(5) أبو البقاء الكفوي، الكليات، 594.
(6) أبو عبيد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، 1207/4.
(7) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 537-538.

للنفس، فإنّ الإنسان في أوّل ما يهمّ بالظّلم فقد ظلم نفسه... ولهذا قال تعالى في غير موضع: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [النحل: 33]"[1].

فيتحصّل بذلك أن مفهوم أتباع الظالمين في هذه الدراسة هم كلّ من انقاد للظالمين أو ناصرهم أو سار على نهجهم في الباطل حتى شاركهم في مسؤولية الفعل واستحقّ معهم الوعيد الأخروي بحسب ما دلّت عليه النصوص القرآنية.

2.2. تعريف الإعجاز الفني:

الإعجاز لغة من مادة (ع. ج. ز) وتعني الضعف وعدم القدرة، والإعجاز الفوت والسبق[2]، والإعجاز في الكلام "أن يُؤَدي المَعنى بطريق هو أَبلَغُ من جَميع ما عَداهُ من الطُرقِ"[3]. ويرُجع الرافعي إعجاز القرآن لشيئين: "ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه"[4]. وتكمن ثمرته في "إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم"[5].

أما الفن لغة فهو الحال والضُروب، ويقال للرجل يفنّنُ كلامه أي يشتقّ في فنّ بعد فنّ، وأفانين الشباب أوائله، والأفانين: الأشياء المختلفة[6]، وزاد على ذلك ابن منظور فجعل الفن: الأسلوب[7]، والأنواع، ورجل مِفَنٌّ أي يأتي بالعجائب وفنون من الكلام، والفنون: الأخلاط من الناس[8]. فيتحصّل بذلك أن الفن هو الأنواع والأسلوب والعجائب.

وأما اصطلاحا فأضحى يحمل معنى "المهارة التي يبلغ بها المرء مقصده بعد تدبر وتمعن"[9]، أو كما أطلق عليه عبد العزيز عتيق "الحذق"[10]. والفن لا يعني "إنتاجا للجمال في أي عمل فني، وإنما هو إظهار لوجوده، وكشف للستار عنه، وعرضه أمام الناظرين يتذوقونه أو يتلمسونه"[11].

وهذا القيد الذي أضافه الخالدي إنما ينطبق على الشأن الذي سنشتغل عليه؛ فإنما الإعجاز القرآني على أضرب ووجوه، نريد من خلال وجهه الفني أن نظهر ونبرز مثالية التعبير القرآني، و"جمال

(1) المصدر نفسه، 538.
(2) ابن منظور، لسان العرب، 5/369-370.
(3) الشريف الجرجاني، التعريفات، 31.
(4) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، 98.
(5) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، 265.
(6) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 8/371-372.
(7) ابن منظور، لسان العرب، 1/473.
(8) ابن منظور، لسان العرب، 13/326.
(9) لاسل آبركرمبي، قواعد النقد الأدبي، 15.
(10) عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، 10.
(11) صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ﷺ، 85.

العرض وتنسيق الأداء وبراعة الإخراج"[1]، وخلق المشاهد الحية، وإثارة المشاعر وقولبتها في إطار قصصي حواري يعجز المستمتع عن الإتيان بمثله، ويكون بذلك تعريف الفن في القرآن "إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وقوة في الأداء. وشيء من هذا كله لا يقتضي أنه يعتمد على الخيال والتلفيق والاختراع"[2]، ويتضح بذلك المقصود بالإعجاز الفني الذي هو "المقدرة الفائقة والمعجزة في الأسلوب، والبراعة المدهشة في عرض الأفكار والموضوعات، بألفاظ حية موحية، وتعابير رشيقة خلابة تسحر العقول، وتثير منبهات النفس"[3].

3. تحليل بعض من مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في القرآن الكريم

1.3. مشهد التماس الأتباع من قادتهم التخفيف عليهم من العذاب:

لهذا المشهد لقطتان في سورتين مختلفتين وهما تعبّران عن حال الأتباع في النار؛ حيث يقول تعالى في السورة الأولى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [إبراهيم: 21]. فهنا موقف من مواقف يوم القيامة، حيث يتحوّل النص القرآني لمشهد متحرك فيه جملة من عناصر التصوير الفني من حركية وموسيقى ومؤثرات نفسية وحوار بين فئتين، ويغلب على الجو العام طابع العذاب الروحي المليء بالذل والخجل والمهانة والانكسار قبل عذاب السعير، فقد افتضح الأتباع والمتبوعون، وانكشف أمرهم على رؤوس الأشهاد؛ حيث أفادت مفردة البروز الظهور بعد استتار، ليبدأ حديث الضعفاء لأسيادهم الذين كانوا يتبعونهم في الدنيا؛ سواء في حالة الكفر، أو في أحوال الدنيا[4]، وهو حديث ضعف ومهانة والتماس لمن هم أعلى منهم درجة، فكانت مفرداتهم في غاية والاستعطاف صيغت في شكل استفهام غرضه التوبيخ والتبكيت رجاء أن يُظهر الأسياد مكانتهم عند الله التي كانوا يدّعونها في الدنيا وغرّوا بها أتباعهم، وكان جواب الأسياد على نمط الاستفهام المذكور؛ اعتذار عن تغريرهم، فقد ورّطوا أنفسهم أيضا، ولا يملكون نفعا لا لأنفسهم ولا لغيرهم[5].

فمناط العذاب الروحي الذي اجتاح الأتباع هو الضعف الذي أوجدوا أنفسهم فيه؛ إذ تخلوا عن كرامتهم الإنسانية وحريتهم في التفكير والاعتقاد والسلوك، وجعلوها بين يدي قلة طاغية تحرّكهم، "فمن ذا الذي يملك أن يجعل أولئك الضعفاء يدينون لغير الله، والله هو خالقهم ورازقهم وكافلهم دون سواه؟ لا أحد. لا أحد إلا أنفسهم الضعيفة. فهم ضعفاء لا لأنهم أقل قوة مادية من الطغاة، ولا لأنهم أقل جاها أو

(1) سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، 266.
(2) المرجع نفسه، 272.
(3) عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، 14.
(4) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 19/82-83.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 13/216-217.

مالا أو منصبا أو مقاما.. كلا، إن هذه كلها أغراض خارجية لا تعدّ بذاتها ضعفا يلحق صفة الضعف بالضعفاء. إنما هم ضعفاء لأن الضعف في أرواحهم وفي قلوبهم وفي نخوتهم وفي اعتزازهم بأخص خصائص الإنسان"[1]، ويكشف هذا المشهد عن أن التبعية العمياء للظالمين لا تفضي إلا إلى الاشتراك في المصير، كما يبرز أن إقرار المستكبرين بسلطان الله ووحدانيته لم يعد يجدي بعد صدور الحكم الإلهي.

وبعد هذا السياق العام، يتجسد أمامنا موقف آخر ذو سياق خاص بعد الحديث عن فرعون وآله في سورة غافر: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: 46-48]. هذا موقف من مواقف الخاسرين في النار، حيث يتجادل الأتباع وأسيادهم مع بعضهم؛ الأتباع بوصفهم الضعفاء نتيجة ذلّهم وتسليم أمرهم للكُبراء، والأسياد بوصفهم الذين استكبروا لأنهم طغوا وتكبروا على أتباعهم، وتسليمهم بأنهم أكبر من أتباعهم، بل هم في مقام الآلهة بالنسبة إليهم. هنا وبعد فوات الأوان امتلكوا الجرأة ليواجهوا سادتهم، بعدما كانوا في الدنيا لا يعارضونهم ولا يجادلونهم ولا يخالفونهم، ولو فعلوا ذلك حينها لما وجدوا أنفسهم اليوم في عذاب السعير[2]، يسألونهم الآن: إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار؟ ألم تكونوا توهموننا أنكم كنتم تقودوننا إلى طريق الرشاد؟ وتحموننا من الفساد؟ وتمنعون عنا الشر والضر وكيد الأعداء؟ فيأتي جواب المستكبرين برما معلنا عن عجزهم الكامل، وفي إقرار بعد استكبار "إنا كلّ فيها" إنا كل ضعاف لا نجد ناصرا ولا معينا، إنا كل في هذا الكرب والضيق سواء، فما سؤالكم لنا وأنتم ترون الكبراء والضعاف سواء؟ "إن الله قد حكم بين العباد" فلا مجال لمراجعة الحكم، ولا مجال لتغيير فيه أو تعديل، وقد قضي الأمر، وما من أحد من العباد يخفف شيئا من حكم الله"[3]، فـ"ينتهي الحوار والحجاج بين الأتباع والمتبوعين، بإعلان السادة الكبراء عجزهم عن نصرة أنفسهم، أو الدفاع عن أتباعهم، ويشترك الفريقان في سوء العذاب"[4]. وقبل أن يسدل الستار، لا بد من الإشارة إلى حكمة إطلاق وصف الآل في بداية الحديث عن عذاب فرعون وأتباعه، فالآل يختصّ "بالإضافة إلى الأعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة... [و] يضاف إلى الأشرف والأفضل... ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصا ذاتيا إما بقرابة قريبة، أو بموالاة"[5]، وخصّت الآل بفرعون هنا بقصد التهكّم "لأن ذلك حكايةٌ لكلام يقال يوم القيامة وفرعون يومئذ مُحقّر، هلك عنه سلطانه"[6]، وابتدأ بالآل أولا ثم

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2096/4.
(2) صلاح عبد الفتاح الخالدي، الأتباع والمتبوعون في القرآن، 159.
(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، 3084/5.
(4) صلاح عبد الفتاح الخالدي، الأتباع والمتبوعون في القرآن، 161.
(5) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 98.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 490/1.

فرعون لأنهم كانوا "يتجاوزون الحدّ المأمور به في الإعنات على عادة المنفّذين، فإنهم أقلّ رحمة وأضيق نفوسا من ولاة الأمور"[1]. فشارك أتباع فرعون في تنفيذ ظلمه، فحقّ عليهم جميعا أشد العذاب. وينتهي المشهد بعبرة ماثلة طول الأزمان، أن فرعون ومن والاه، إنّما هم نماذج تتكرر دوما، بل كلّ من كان على صفاتهم وشاكلتهم هم مشمولون بهذا الموقف العظيم الذي سيحصل لا محالة[2]. ويُلح كذلك أن افتتاح المقطع بصيغة تدل على التكرار والاستمرار ينسجم مع السياق العام للمشهد، ويعزز أثره في تصوير دوام العذاب واستمراره.

2.3. مشهد الحوار بين الأتباع مع قادتهم في الآخرة:

ولنبدأ بهذا الموقف، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ: 31-33]. يعرض النص القرآني موقفا آخر من مواقف يوم القيامة، وهو يوم الحساب بين يدي المولى عزّ وجلّ، إذ يندلع جدال بين المستضعفين والمستكبرين في جوّ يغلب عليه التوتر والندم والعجز ويكتنفه طابع العذاب النفسي الشديد، وغير المحتمل "إذ كشفت المراجعة الكلامية عن قلوب متباعدة، ونفوس مليئة بالحقد، فكل طرف يرى في الآخر عدّوه اللدود"[3]. ويتصاعد الحوار تبادلا للاتهام والتنصل من المسؤولية بين الفئتين؛ فئة تحاول إلقاء تبعات اختيارها على غيرها، والفئة الأخرى تنفي عن نفسها التهمة، ثم تجيبها بالحقيقة بالمرّة "بل كنتم مجرمين! عندئذ ينطلق المستضعفون في جرأة يعدّون عليهم آثامهم ومكرهم، ووسوستهم لهم بالليل والنهار، وأمرهم باتخاذ آلهة أندادا لله"[4]، ثم ينتهي الحوار بإظهار ندم الفريقين وعجزهما وقد اعتراهم إحساس الحسرة والندامة، وانعدام الحيلة، واستسلموا للمصير المحتوم الذي ينتظرهم، ويختتم المشهد بانتقال من الحوار بين أهل النار إلى الخطاب الإلهي المباشر لهم، بما يعمّق الأثر في نفس المتلقي، ويحكم القرآن على الفريقين بالكفر، ويفتح المجال أمام القارئ للتأمل في الخاتمة: هل يُجزون إلا ما كانوا يعملون؟ وكأنه المخاطب بعد هذا المشهد المحسوس.

---

(1) المرجع نفسه، 490/1.

(2) Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany, Scenes of dialogue between leaders and their followers in the Holy Qur'an: An analytical study, 149.

(3) سعاد بولشفار، آيات العذاب والنعيم في القرآن الكريم، 58.

(4) سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، 162.

وبعد هذا الموقف، يعرض القرآن مشهدا آخر يجسّد الحالة النفسية للأتباع: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الصافات: 24-34]. ويفتتح المشهد باستفهام تقريري يحمل دلالة التوبيخ والسخرية "ما لكم لا تناصرون؟"، ها هي "سخرية القرآن تلاحق أعداء الله في كل موقع، فيحطّ من قدرهم حطا مزريا من شأنه أن يحطّم قوتهم المعنوية"[1]، وهنا يتجادل الفريقان ويحاول كل منهما إلقاء المسؤولية على غيره، ويكشف هذا المشهد عن نزعة الإنسان إلى التنصل من المسؤولية، حيث يتفنن الإنسان في رفعها عن نفسه وإلصاقها بغيره، حتى لنجد جيلا كاملا يلقي بمسؤولية تخلّفه واعتقاداته على كاهل الأجيال السابقة، فقد لام وقرّع الأتباع أسيادهم بسخط: أنهم كانوا يتفننون في إغوائهم واستخدموا مفردة: "اليمين" والتي أوّلت على عدّة أمور، وهي: القوة والشدّة، والتمويه والإغواء، القطع عن أخبار الخير واليمن، الشهوات، الحلف والقسم[2]، ولا مانع من حمل اللفظ على أكثر من دلالة إذا احتملها السياق، وهو ما يعزز ثراء التعبير القرآني في تدليل على تنوع أساليب المستكبرين في الغواية[3]. وبعد هذا الثوران والحرقة في نفوس المستضعفين، يصوّر لنا القرآن الكريم ردّ المستكبرين البارد الذي يسفّه هذا الاتهام ويسخر منه: "بل لم تكونوا مؤمنين"... "بل كنتم طاغين"، وهي الحقيقة فالمستضعفون أيضا كانوا مستبدين مجرمين، وإنما "الاستبداد أعظم بلاء، لأنه وباء دائم بالفتن، وجدب مستمر بتعطيل الأعمال، وحريق متواصل بالسلب والغصب، وسيل جارف للعمران، وخوف يقطع القلوب، وظلام يعمي الأبصار، وألم لا يفتر، وصائل لا يرحم، وقصة سوء لا تنتهي"[4]، فلا ينتهي بموت أصحابها، بل يبعثون ليسألون عما كانوا يفعلون، ثم يحشرون جميعا، ويعلن على رؤوس الأشهاد "فإنهم في العذاب مشتركون"، ويكشف المشهد اشتراك الفريقين في أسباب استحقاق العذاب، فهم سواء في الطغيان والغواية والإجرام والظلم[5]. ويتجلى الإعجاز الفني في بناء هذا المشهد من خلال تتابع الحوار، وتصاعد الاتهام، وانتهائه بإعلان اشتراك الفريقين في العذاب، بما يُحدث أثرا نفسيا بالغا في المتلقي، ويجعل المشهد الأخروي حاضرا في وجدانه كأنه يراه رأي العين، ويبرز من خلال هذا المشهد أن البنية الحوارية في القرآن المكي لم تقتصر على نقل أحداث

(1) عبد الحليم حفني، التصوير الساخر في القرآن الكريم، 18.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/469-470.

(3) آلاء ملحم، جهاد نصيرات، القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، 218.

(4) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، 17.

(5) Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany, Scenes of dialogue between leaders and their followers in the Holy Qur'an: An analytical study, 145.

الآخرة، بل وظفت الحوار والتدرج في الاتهام والاعتراف لإبراز المسؤولية الفردية، وإبطال حجج التبعية، بما يعكس جانبا من الإعجاز الفني في تصوير الموقف الأخروي.

3.3. مشهد دعاء الأتباع على قادتهم في النار:

لنبدأ بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 38-41]. يعرض هذا المقطع مشهدا آخر من مشاهد العذاب في النار، إذ يجسّد فيه اجتماع الأتباع والمتبوعين في صورة حوارية نابضة بالحركة تصوّر ما يجري بينهم من اتهام وتلاوم وتلاعن، فهذا مشهد مكرر في كل أمة، حيث لا يكتفي أن يتبرأ بعضهم من بعض، ويحمّلوا المسؤولية لبعضهم البعض، بل صار كل منهم يتبرأ من الآخر ويلعنه لظنه أنه السبب في دخوله النار، لكنهم في الحقيقة كلهم على شاكلة بعض في الإجرام والظلم[1]، ثم يختتم المقطع "بتقرير حقيقة قرآنية قاطعة: إن الأمم الضالة المتلاحقة من الأتباع والمتبوعين مخلّدون في النار، ولن يدخلوا الجنة حتى يلج الحبل الغليظ ثقب الإبرة الصغيرة، وهذا مستحيل وذاك مستحيل. فليبق المجرمون الظالمون من الأتباع والمتبوعين في جهنم، يتقلبون في نارها وعذابها، لهم من نارها فرش يفترشونها، ولهم من نارها أغطية يتغطون بها، وغواش تغشاهم من فوقهم. وتصوّر معي الفرش والأغطية المصنوعة من النار الحارقة، وتصوّر معي منظر هؤلاء مقيدين بين الفُرُش والأغطية النارية"[2]. فيجتمع عليهم العذاب النفسي والعذاب الحسي الذي سيذوقه الظالمون.

ولنذهب إلى مقطع آخر يصوّر تخاصم أهل النار ودعاءهم على بعضهم، فيقول تعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: **55-64**]. يتجلى في هذا المقطع التصوير الفني للحالة النفسية والجسدية لأهل النار، ثم يخصّص بمشهد حواري متحرك "ها هي ذي جماعة من أولئك الطاغين من أهل جهنم، كانت في الدنيا متوادة متحابة، فهي اليوم متناكرة

(1) Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany, Scenes of dialogue between leaders and their followers in the Holy Qur'an: An analytical study, 150.

(2) صلاح عبد الفتاح الخالدي، الأتباع والمتبوعون في القرآن، 68.

متنابذة، كان بعضهم يملي لبعض في الضلال، وكان بعضهم يتعالى على المؤمنين، ويهزأ من دعوتهم ودعواهم في النعيم.. ها هم أولاء يقتحمون النار فوجا بعد فوج وها هم أولاء يقول بعضهم لبعض: "هذا فوج مقتحم معكم".. فماذا يكون الجواب؟ يكون الجواب في اندفاع وحنق: "لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار"، فهل يسكت المشتومون؟ كلا، إنهم يردون: "قالوا: بل أنتم لا مرحبا بكم. أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار"، فلقد كنتم أنتم السبب في هذا العذاب، وإذا دعوة فيها الحنق والانتقام: "قالوا: ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار"!"[1].

وبعد هذا التخاصم والعذاب في النار، والحنق والغضب والندامة، يكشف القرآن جانبا من الطبيعية الإنسانية التي تسهى عن نفسها ومما هي فيه، وتنظر إلى غيرها؛ ففي هذا الموقف الشديد يتوجّه أهل النار هؤلاء بالبحث عن فئة كانوا يحسبونها معهم في جهنم، وكأن القرآن يريد أن يعطينا لمحة عن العذاب المضاعف؛ النفسي والحسي الذي سيكون لهذه الفئة، إذ يستحضر بعضا من ذكريات سخرية الكافرين من المؤمنين في الحياة الدنيا، ومصير هذه السخرية في الآخرة؛ إذ "يجولون بأبصارهم يبحثون عن هؤلاء القلة من المؤمنين الذين كانوا يرونهم أراذل الناس وشرارهم، والذين يوقنون بأنهم اليوم أسوأ الناس حالا كما كانوا في الدنيا... وكأنهم لا يجدون حينئذ إلا أحد احتمالين لعدم رؤيتهم المؤمنين في جهنم، فإما أن يكون المؤمنون قد تعمّدوا أن يختفوا عن الأنظار خزيا وخجلا لعدم تحقّق ما كانوا يحلمون به في الدنيا من الكرامة والنعيم في الآخرة، وإما أن يكونوا لقلة عددهم تائهين بين هذا الزحام الشديد فلم تستطع العيون أن تتبين مكانهم، ولكنهم في كل حال لا بد أن يكونوا في جهنم كما يتصور أعداء الله... وتعبير (اتخذناهم سخريا) بمعنى لعل المؤمنين خجلوا من سخريتنا بهم فتواروا عنا حتى لا نراهم فنكرر سخريتنا منهم، وشماتتنا فيهم حيث لم يتحقق لهم ما كان يعدهم به النبي..."[2]، لكنهم ازدادوا ندما حين تبيّن لهم أن المؤمنين هم اليوم من المكرّمين الفائزين بجنات النعيم، ويترك السياق القرآني هذا المشهد مفتوحا أمام المتلقي للتأمل في شدة حسرتهم بعد انكشاف الحقيقة، ثم يختتم المقطع بتقرير حقيقة قرآنية عامة، وهي أن التخاصم سمة ملازمة لأهل النار، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾، فيتضاعف عليهم العذاب النفسي إلى جانب العذاب الحسي، بما يلازمهم من التلاوم والندامة طوال مقامهم في النار.

4.3. مشهد تمني الأتباع العودة إلى الحياة الدنيا:

يقول تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، 3024/5.

(2) عبد الحليم حفني، التصوير الساخر في القرآن الكريم، 53-54.

لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 91-103]. يعرض هذا المقطع مشهدا آخر من مشاهد القيامة، ويتجلى الإعجاز الفني في النظم القرآني منذ افتتاح المقطع بقوله تعالى ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾؛ إذ بدأ المقطع باستخدام مفردة "برّزت": أي أُظهرت من بعيد، بحيث يراها الضالون المضلّون، ويوقنون أنهم إليها سائرون، فيستشعرون هول المصير قبل دخولها، مما يعمق الأثر النفسي للمشهد، فيسأل الملائكة الغاوين سؤالا ليس الغرض منه حقيقة الاستفهام، بل التوبيخ والتأنيب والتهكّم، وإظهار عجز المعبودات والمتبوعين عن نفع أنفسهم فضلا عن أتباعهم، ويعزّز جرس مفردة "فكبكبوا" هذا المعنى، إذ يوحي إيقاعها الصوتي بتتابع السقوط وشدته، وهو من دقائق التصوير الصوتي في النظم القرآني[1].

ونختم بمشهد من القرآن المدني الذي يرسّخ ما جاء به القرآن المكي ويعضّده، ويؤكد على أهمية هذه المسألة واستمراريتها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 165-167]. في هذا المقطع تقرير وتأكيد على التوحيد باستخدام أسلوب تقبيح ضدّ الشيء، ولهذا تحدّث عن الندّ الذي يتخذه الخاسرون ومصير ذلك في اليوم الآخر، وقد اختُلف في معنى الند؛ هل هو الصنم والآلهة، أم هو السيد القوي، أم هو من شغلت به قلبك بدلا عن المولى تعالى[2]، ويظهر من السياق أن المقصود يشمل كل من اتخذه الناس ندا لله فأطاعوه ووالوه، لأن السياق يتحدث إلى عقلاء ذوي قوة، ويمكن أن تكون القوة التي لديهم هي التي استدعت أن يغترّ بهم أتباعهم ويستمعوا لكلامهم وإغراءاتهم، كما أنهم سيكونون في النار مع أتباعهم. ثم وردت مفردة الحبّ التي تعبّر عن الصلة القلبية والتجاذب الروحي[3]، أي أن هؤلاء المشركين قد مالوا بكل قلبهم وعاطفتهم لسادتهم، مثلما يميل المؤمنون لحبّ الله وإن كان حبّ المؤمنين أشدّ وأعمق من حبّهم، ويستحضر القرآن هذا المشهد لتحذير المخاطبين من عاقبة هذا الاتباع، فيستحضر أمامهم مشهدا من مشاهد يوم القيامة، لينظروا إلى العذاب الذي ينتظرهم، والحسرة التي ستتملكهم حينما يجدون سادتهم لا قوة لهم ولا حيلة، "وتبدّى الحنق والغيظ من التابعين المخدوعين في القيادات الضالة، وتمنوا لو يردون لهم الجميل، لو يعودون إلى الأرض فيتبرأوا من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها، التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب. إنه مشهد مؤثر: مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين، بين المحبين والمحبوبين، وهنا يجيء التعقيب الممض المؤلم:

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2605/5.
(2) الرازي، التفسير الكبير، 174/4-175.
(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، 154/1.

﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾"[1]. ويكشف هذا المشهد أن القرآن يوظّف التصوير الحواري، والتدرّج في عرض الموقف، والتصوير الصوتي، والمقابلة بين حال الدنيا والآخرة؛ لترسيخ بطلان التبعية العمياء، وإبراز ما تؤول إليه من حسرة وندامة، بما يجسد جانبا من الإعجاز الفني في تصوير عاقبة أتباع الظالمين.

4. تجلي الإعجاز الفني في القرآن المكي من خلال نماذج مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في الآخرة

1.4. الخصائص الموضوعية والفنية للقرآن المكي:

إن اختلاف بيئة التنزيل وتنوّع العقليات المخاطَبة، تطلّبت تماثلا في الخطاب والأسلوب للتأثير فيها بالشكل المنشود، وقد تمثّل ذلك في علم من علوم القرآن وهو علم المكي والمدني، إذ تميزّ كل منهما . المكي والمدني . بمجموعة من الخواص والمزايا والمقاصد والأغراض الدقيقة، التي قد يتوقّف إدراكها على شيء من إعمال الفكر وإمعان النظر، ومعرفة واسعة بدقائق الشريعة واللغة. وقد وفّق العلماء في حصرها في عدّد من النقاط، مع الإشارة إلى أنه لا انفصال بين المكي والمدني، بل المدني مكمّل للمكي؛ فإن كان القرآن في مرحلته الأولى . أي قبل الهجرة . ركّز على التأسيس العقدي والشرعي المجمل، فإنه في مرحلته الثانية فصّل وبيّن وعلّل[2]. ومن أبرز هذه الخصائص:[3]

- قصر الآيات والسور وإيجازها، وحرارة تعبيرها وتجانسها الصوتي، بما يصخّ الآذان ويصعق القلوب.
- الدعوة إلى التوحيد وتثبيت الأصول الاعتقادية وهي: الإيمان بالله وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وتصوير الجنة والنار...
- ذكر قصص الأنبياء والأمم السالفة إنذارا وزجرا للمكذبين والظالمين.
- نبذ الشرك والوثنية وإقامة الحجج والبراهين على بطلان عقائدهم الزائغة.
- تسلية رسول اللهﷺ في دعوته للصبر على أذى المشركين.
- وضع الأسس العامة للتشريع وفضح جرائم المشركين.
- الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة ونبذ سوء العادات والقضاء على الموروثات المبتدعة من عند أنفسهم.
- مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.
- كثرة القسم، والتوكيد والتقرير والتشبيه وضرب الأمثلة.

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، 154/1.

(2) محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، 48.

(3) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، 63. محمد معبد، نفحات من علوم القرآن، 34.

- كثرة التصوير الفني والحسي وإضفاء الحركة على الأشياء لا سيما في مشاهد القيامة وأهوال النار وبيان أحوال الجنة، وفي القصص.

2.4. التكامل بين مشاهد عاقبة أتباع الظالمين والإعجاز الفني في القرآن المكي:

تكشف النماذج السابقة أن القرآن الكريم صوّر لنا أنواع المشاهد والحوارات التي ستحدث يوم القيامة، سواء في يوم الحساب بين يدي المولى عزّ وجلّ، أو عند دخولهم للنار، أو أثناء عذابهم، وصاغها في صور حية متحركة تجمع بين الحوار والحركة والانفعال النفسي، وكأننا ننظر إليها رأي العين، وركّز على الجانب النفسي بتجسيمه وإبراز ما تعتصره القلوب من غصّة وحسرة وندامة، كما صوّر بعضا من العذاب المادي المحسوس، وصوّر أيضا صفاتهم والأخلاق والمعتقدات التي كانوا يحملونها وأغلب هذه النماذج وردت ضمن القرآن المكي، أي في زمن متقدّم من زمن الرسالة، ويثير ذلك تساؤلا عن الحكمة من كثافة ورود هذه المشاهد في القرآن المكي.

يمكن تفسير ذلك بأن المقصود بهذا الكتاب العظيم هو الإنسان، والغاية من ذلك هي بناؤه وإعداده ليكون إنسان الرسالة وإنسان الخلافة في الأرض بالحقّ، ولهذا فقد "أودع القرآن سرّ بناء الإنسان في آياته، وجعل قانون بعثه من الهامش إلى التمكين وأسباب حياته بينة في ثنايا القرآن الكريم، وقدّم القرآن في ذلك منظومة تربوية كاملة في صياغة القلب والعقل والسلوك، وابتدأ تلك المهمة الكبرى في أول سور التنزيل القرآني في العهد المكي المبارك"[1]. ولأجل تثبيت "الأصول والمعتقدات الصحيحة في قلوب الناس جميعا؛ مؤمنين وكافرين، عُنِيَ القرآن المكي عناية فائقة بأخبار الأنبياء والأمم السابقة، لما فيها من عظات وعِبَر وتبيان لسنة الله تعالى في هلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين. ولقد كان إيراد القصص في القرآن المكي بكثرة من أبلغ الأدلة على أن القرآن كان وحيًا من الله تعالى. ولو تأخَّر إيراده إلى العهد المدني، لقال الكفار: تعلّمه محمدﷺ من أهل الكتاب"[2].

وإذا ما جئنا على تعريف القصة القرآنية نجد أنها "كلام حسن في لفظه ومعناه مشتمل على أحداث حقيقية سابقة ومتضمن على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الخير... فهي تكشف عن آثار الماضي وتنقّب عن حوادثه. وتعرضها في أسلوب معجز مشتمل على العبرة والعظة. أخذا بالعقل والوجدان إلى زمن القصة وأدوارها وأشخاصها مهما كانت كثيرة وبعيدة"[3]. وإن كانت مشاهد يوم القيامة وعذابها ليست حكايات من الماضي أو الحاضر، بل هي مشاهد من المستقبل أي من الغيب، فإن التعبير القرآني قد صاغها في صور فنية محسوسة تقرّبها إلى إدراك المتلقي، من خلال التصوير والحوار والحركة، بما يحقق أثرها الإيماني والجمالي، حيث أسهم التخييل والخيال. وهو أهم عنصر في التصوير الفني الذي يقوم عليه

(1) كفاح أبو هنود، فقه بناء الإنسان في القرآن،9.

(2) محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، 49.

(3) أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، دار الكتب الإسلامية، 288.

الإعجاز الفني . في "إبراز العاطفة وإثارتها في النفوس، إذ يقلّب المجرّدات إلى مرئيات، والصورة أشد العناصر المحسوسة تأثيرا في النفس، وأقدرها على تثبيت الفكرة والإحساس فيها، فالصورة . وهي الوجه المرئي أو المحسوس للخيال . تستثير عواطف النفس وتحرّكها من مكامنها، وابتعاث العاطفة كان الغاية"[1]، وما ينتج عن ابتعاثها من تحرك القلب وزلزلته لعلّه يستفيق من غفلته، بالإضافة إلى الغاية الإقناعية والجمالية. وسميت مشاهدا لأنها تعرض الأحداث في هيئة صور متحركة تجمع بين الحوار والحركة والانفعال الحسي والإيقاع، حيث تصوّر الحالات النفسية لأتباع الظالمين والمستكبرين وهم في الجحيم، وتشخّص المعاني الذهنية، وتعرض النماذج الإنسانية[2]، وذكريات هذه النماذج.

وعلى ذكر التصوير الفني؛ فقد عرّفه سيد قطب بقوله: "هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردّها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل. فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة... ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع... إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة"[3].

ويتجلى أثر هذا التصوير في النماذج السابقة التي أبرزت الحوار والحركة والتجسيد النفسي لعاقبة أتباع الظالمين، أين رأينا منتهى الإبداع في تصوير مشاهد عاقبة أتباع الظالمين . التي تندرج أغلبها ضمن السور المكية .، كأنها مشاهد نابضة بالحياة، نستشعر من خلالها لهيب النار، وحرقة القلب، والمجادلة، والاعتراف بالخطأ لكن بعد فوات الأوان؛ "فالنص القرآني باعتباره نصا جماليا يخاطب الروح والقلب معا يقوم على وحدة الأجزاء بين عناصر علم الجمال بما فيها الخير (الأخلاق) والحق. لهذا فإنه حين يعالج المضمون إنما ينفتح على كل تجربة ثقافية واجتماعية وذاتية وخلقية قديمة ومعاصرة؛ في صميم وعي التصورات الموضوعية والذاتية والفنية... وهذا الذي يحقق له جمالية فريدة. فجمالية نص القرآن تحملنا من جهة الوظائف والأهداف إلى رحاب أثيرية؛ وفضاءات لا نظير لها في الإمتاع والفائدة لتؤكد مهماتها العظيمة التي تحققها على مرّ الأجيال... في الوقت الذي تتطابق مع ماهية فلسفة علم الجمال وروحه"[4].

ولا يتعارض حضور البعد الجمالي مع مشاهد العذاب، إذ تتجلى الجمالية هنا في بناء الصورة وأسلوب

(1) أحمد بسام ساعي، الصورة بين البلاغة والنقد، 28.

(2) سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، 10.

(3) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، 36.

(4) حسين جمعة، التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية فكرية وأسلوبية)، 73.

عرضها، لا في مضمون العذاب نفسه، إن "آيات العذاب هي التي تضمّنت وحوت تصوير العذاب بوسائله وشخصياته وزمكانياته، ورغم ما صورته من أهوال، لا طاقة للمعذب بها، فقد حازت على جانب المتعة الفنية، مما جعلها تبلغ الذروة في ترك المتأمل في حالة من الذعر، تلفحه نيران الآخرة عن بعد"[1]. كما أن هذه الآيات على تعدّد مشاهدها وكثرتها، لم تنشئ نوعا من التكرار؛ فكل مشهد متميز متفرد عن غيره سواء في كلياته أو جزئياته[2]، ومثّلت عالما غيبيا جديدا على التجربة الإنسانية، إذ تعجز المخيلة الإنسانية على إدراك حقيقته، وقد نجحت اللغة القرآنية بإعجازها الفني أن ترسم من خلال تعابيرها وصورها وأساليبها صورة الإنسان في الآخرة، ولعب الحوار التصويري من خلال حديث الأتباع مع أنفسهم أو مع ساداتهم أو مع ملائكة العذاب، مجالا لتجسيد صور الجزاء الأخروي؛ من مهانة واحتقار وتحقير لأهل النار، حيث كانت "النفس في كل هذه الآيات المقصد الرئيسي إذ سارت آيات الحوار في منحنى نفسي فريد، بدت فيه مجموعة من الانفعالات، منها انفعال الحزن، الندم، الألم، التحسر، القسوة. وعلى هذا الأساس شكّلت هذه الانفعالات الصورة النهائية لأنفس جديدة، وسلوكات جديدة، ولدت من عمق المحنة الجديدة"[3].

وتأسيسا على ما سبق، يتبيّن أن الإعجاز الفني البارز في مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في الآخرة الوارد في القرآن المكي حقّق عدّة مقاصد من مقاصد القرآن الكريم التي أجملها ابن عاشور في ثمانية: "إصلاح الاعتقاد وتعليم العَقْد الصحيح... تهذيب الأخلاق... التشريع... سياسة الأمة... القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسّي بصالح أحوالهم... التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها... المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير... الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول"[4]. وبذلك يتبيّن أن مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في القرآن المكي لم ترد لمجرد الإخبار بأحداث الآخرة، وإنما جاءت في بناء فني متكامل يجمع بين قوة التصوير، وعمق الأثر النفسي، وترسيخ المقاصد العقدية والتربوية، وهو ما يكشف جانبا من الإعجاز الفني في القرآن الكريم.

5. خاتمة

انطلاقا من تحليل مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في الآخرة وربطها بعلم المكي والتصوير والإعجاز الفني، فإننا نلحظ كيف نوّع القرآن الكريم في استخدام الأساليب البلاغية في بناء مشاهد تصويرية تنبض بالحياة، كما تحيط بها هالة من المؤثرات النفسية التي تجعل من المفردات المستخدمة كيانا حيا ماثلا أمام العين، وهذا قمّة الإعجاز الفني والتصويري، وقد أفضى البحث إلى عدّة نتائج أبرزها الآتي:

(1) سعاد بولشفار، آيات العذاب والنعيم في القرآن الكريم، 118.

(2) سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، 10.

(3) سعاد بولشفار، آيات العذاب والنعيم في القرآن الكريم، 119.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/40-41.

- تتنوع الأساليب البلاغية والتعبيرية والحوارية القرآنية في تصوير مشاهد عاقبة أتباع الظالمين، في توليفة تجعل منها مادة للإعجاز يستحيل الإتيان بمثلها.
- تصوّر آيات عذاب الأتباع الحالة النفسية التي يكونون عليها، والحجج التي يبدونها، والمجادلة والأماني التي ينطقون بها، كما تصوّر هذه الآيات صفاتهم الدنيوية والأخروية مثل الطغيان والظلم والغي والإجرام.
- يغلب على النماذج التي عرضناها الحوار التصويري، وعنصر الخيال والتخييل الذي يساعد على إحياء هذه المفردات وجعلها ماثلة أمام العين، كما تترك مجالا حرا لخيال القارئ، ليتفكر ويفكّر في حالة هؤلاء الأتباع والظلمة، ويتفكر أيضا في حال نفسه، لعله يتعظ ويتوب، ثم يتفكر في ما الذي منع المشركين في اتباع هذا الحق الذي كان يتنزل عليهم في كل وقت وحين.
- وردت أغلب مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في الآخرة في القرآن المكي، أي في مرحلة مبكرة من مراحل تنزيل القرآن الكريم وذلك لأن الخطاب القرآني إنما يريد تقويض العقائد والأخلاق الفاسدة، ويبني إنسان الرسالة بناء سليما، ويجعل من شخصيته شخصية حرة أبية تأبى الظلم والانجرار وراءه.
- تتميز هذه المشاهد بدقة اختيار المفردات، وإحكام النظم، وتناسق البناء التصويري، وهو ما يكشف عن جانب بارز من الإعجاز الفني في القرآن الكريم.
- تؤكد هذه المشاهد مبدأ المسؤولية الفردية، وأن التبعية للظالمين لا تعفي صاحبها من تبعات اختياره، بل قد تؤدي إلى الاشتراك في المصير الأخروي بحسب ما تقرره النصوص القرآنية.

وفي حدود هذه الدراسة، اقتصر البحث على عدد من مشاهد عاقبة أتباع الظالمين في الآخرة، مع التركيز على أبعادها التصويرية والفنية في ضوء خصائص القرآن المكي، ولا تدعي الدراسة استقصاء جميع المواضع القرآنية المتعلقة بالموضوع، الأمر الذي يفتح المجال أمام دراسات لاحقة تعتمد على التفسير الموضوعي أو تتوسع في تحليل البنية البلاغية والصوتية والحوارية لهذه المشاهد، بما يسهم في الكشف عن مزيد من وجوه الإعجاز الفني في القرآن الكريم. كما أن حالة أتباع الظالمين تستدعي البحث في العلاقة بين المسؤولية الفردية أو الواجب العيني في تفعيل أدوات الوعي الإنساني وتغييبها أو تعطيلها بفعل الظلم أو اتباع الظالمين، وهذا ما يستدعي دراسة قرآنية أخرى.

6. قائمة المراجع

- آبركرمبي، لاسل، (1936)، قواعد النقد الأدبي، ترجمة: محمد عوض محمد، مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- إسماعيل، محمد بكر، (1999)، دراسات في علوم القرآن، دار المنار.
- بولشفار، سعاد، (1999-2000)، آيات العذاب والنعيم في القرآن الكريم: دراسة فنية (رسالة ماجستير)، قسم اللغة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر.
- جمعة، حسين، (2005)، التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية فكرية وأسلوبية)، منشورات دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع.

- حفني، عبد الحليم، (1992)، التصوير الساخر في القرآن الكريم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1996)، الأتباع والمتبوعون في القرآن، عمان، دار المنار للنشر والتوزيع.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (2016)، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب رحمه الله، عمان، دار الفاروق.
- الرازي، فخر الدين، (1420هـ)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، (1412هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، بيروت، دار القلم، دار الشامية.
- الرافعي، مصطفى صادق، (2005)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت، دار الكتاب العربي.
- ساعي، أحمد بسام، (1984)، الصورة بين البلاغة والنقد، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع.
- السلامي، عمر، (1980)، الإعجاز الفني في القرآن، تونس، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
- الشريف الجرجاني، علي بن محمد، (1983)، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس، الدار التونسية للنشر.
- عتيق، عبد العزيز، (1972)، في النقد الأدبي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، (1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية.
- غلوش، أحمد، (1987)، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، بيروت، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.
- ابن فارس، أحمد، (1969)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (د. س. ن)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- القطان، مناع بن خليل، (2000)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- قطب، سيد، (2003)، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق.
- قطب، سيد، (2004)، التصوير الفني في القرآن الكريم، القاهرة، دار الشروق.
- قطب، سيد، (2006)، مشاهد القيامة في القرآن، مصر، دار الشروق.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، (د. س. ن)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الكواكبي، عبد الرحمن، (1988)، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، الجزائر، موفم للنشر.
- معبد، محمد، (2005)، نفحات من علوم القرآن، القاهرة، دار السلام.

- ملحم، آلاء، نصيرات، جهاد، (2021)، القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، الصراط، المجلد 23، العدد 3، 203-236.
- ابن منظور، جمال الدين، (1414هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- الهروي، أبو عبيد، (1999)، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- أبو هنود، كفاح، (2020)، فقه بناء الإنسان في القرآن، مصر، عصير الكتب للنشر والتوزيع.

7. Bibliography List

- Abercrombie, Lascelles. (1936). Qawāʿid al-Naqd al-Adabī (Principles of Literary Criticism). (Trans. M. ʿAwaḍ Muḥammad). Egypt: Maṭbaʿat Lajnat al-Taʾlīf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr.
- Abū Hunūd, Kifāḥ. (2020). Fiqh Bināʾ al-Insān fī al-Qurʾān (The Jurisprudence of Human Construction in the Quran). Egypt: ʿAṣīr al-Kutub lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.
- Al-Farāhīdī, Al-Khalīl ibn Aḥmad. (n.d.). Kitāb al-ʿAyn (The Book of 'Ayn). (Eds. M. al-Makhzūmī & I. al-Sāmarrāʾī). Dār wa-Maktabat al-Hilāl.
- Al-Harawī, Abū ʿUbayd. (1999). Al-Gharībayn fī al-Qurʾān wa-al-Ḥadīth (The Two Rarities in the Quran and Hadit)]. (Ed. A. Farīd al-Mazīdī). Saudi Arabia: Maktabat Nizār Muṣṭafā al-Bāz.
- Al-Jurjānī, ʿAlī ibn Muḥammad (Al-Sharīf). (1983). Al-Taʿrīfāt (Definitions). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
- Al-Kafawī, Abū al-Baqāʾ Ayyūb ibn Mūsā. (n.d.). Al-Kulliyyāt (The Compendium of Terms). (Eds. ʿA. Darwīsh & M. al-Maṣrī). Beirut: Muʾassasat al-Risālah.
- Al-Kawākibī, ʿAbd al-Raḥmān. (1988). Ṭabāʾiʿ al-Istibdād wa-Maṣāriʿ al-Istiʿbād (The Characteristics of Despotism and the Destinies of Enslavement). Algeria: Muwafam lil-Nashr.
- Al-Khālidī, Ṣalāḥ ʿAbd al-Fattāḥ. (1996). Al-Atbāʿ wa-al-Matbūʿūn fī al-Qurʾān (Followers and the Followed in the Quran). Amman: Dār al-Manār lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.
- Al-Khālidī, Ṣalāḥ ʿAbd al-Fattāḥ. (2016). Naẓariyyat al-Taṣwīr al-Fannī ʿinda Sayyid Quṭb (The Theory of Artistic Imagery in Sayyid Qutb's Thought). Amman: Dār al-Fārūq.
- Al-Qaṭṭān, Mannāʿ ibn Khalīl. (2000). Mabāḥith fī ʿUlūm al-Qurʾān (Studies in Quranic Science)]. Maktabat al-Maʿārif lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.
- Al-Rāfiʿī, Muṣṭafā Ṣādiq. (2005). Iʿjāz al-Qurʾān wa-al-Balāghah al-Nabawiyyah (The Inimitability of the Quran and Prophetic Eloquence). Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī.
- Al-Rāghib al-Iṣfahānī, Abū al-Qāsim. (1412 AH). Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān (Vocabulary of the Quran). (Ed. Ṣ. ʿA. al-Dāwūdī). Damascus/Beirut: Dār al-Qalam, Dār al-Shāmiyyah.
- Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn. (1420 AH). Mafātīḥ al-Ghayb (The Keys to the Unsee)]. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.
- Al-Salāmī, ʿUmar. (1980). Al-Iʿjāz al-Fannī fī al-Qurʾān (Artistic Inimitability in the Quran). Tunisia: Muʾassasāt ʿAbd al-Karīm ibn ʿAbd Allāh.
- Al-Sāʿī, Aḥmad Bassām. (1984). Al-Ṣūrah bayna al-Balāghah wa-al-Naqd (The Image between Rhetoric and Criticis)]. Al-Manārah lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

- ʿAtīq, ʿAbd al-ʿAzīz. (1972). Fī al-Naqd al-Adabī (On Literary Criticism). Beirut: Dār al-Nahḍah al-ʿArabiyyah.
- Bolshafar, Suʿād. (1999-2000). Āyāt al-ʿAdhāb wa-al-Naʿīm fī al-Qurʾān al-Karīm: Dirāsah Fanniyyah (Verses of Punishment and Bliss in the Holy Quran: An Artistic Study) (Master's thesis). Emir Abdelkader University of Islamic Studies, Constantine, Algeria.
- Ghallūsh, Aḥmad. (1987). Al-Daʿwah al-Islāmiyyah: Uṣūluhā wa-Wasāʾiluhā (Islamic Call: Principles and Method). Beirut: Dār al-Kutub al-Islāmiyyah, Dār al-Kitāb al-Miṣrī, Dār al-Kitāb al-Lubnānī.
- Ḥafnī, ʿAbd al-Ḥalīm. (1992). Al-Taṣwīr al-Sākhir fī al-Qurʾān al-Karīm (Satirical Imagery in the Holy Quran). Egypt: Al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb.
- Ibn Fāris, Aḥmad. (1969). Maqāyīs al-Lughah (Standards of the Language). (Ed. ʿA. Hārūn). Egypt: Sharikat Maktabat wa-Maṭbaʿat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh.
- Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn. (1414 AH). Lisān al-ʿArab (The Tongue of the Arabs). Beirut: Dār Ṣādir.
- Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). Taḥrīr al-Maʿnā al-Sadīd wa-Tanwīr al-ʿAql al-Jadīd min Tafsīr al-Kitāb al-Majīd (Refining the Correct Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book). Tunisia: Al-Dār al-Tūnisiyyah lil-Nashr.
- Ibn ʿAṭiyyah, Abū Muḥammad ʿAbd al-Ḥaqq. (1422 AH). Al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz (The Concise Commentary on the Interpretation of the Mighty Book). (Ed. ʿA. ʿA. al-Shāfiʿī Muḥammad). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
- Ismāʿīl, Muḥammad Bakr. (1999). Dirāsāt fī ʿUlūm al-Qurʾān (Studies in Quranic Sciences). Dār al-Manār.
- Jamʿah, Ḥusayn. (2005). Al-Taqābul al-Jamālī fī al-Naṣṣ al-Qurʾānī (Aesthetic Contrast in the Quranic Text). Dār al-Numayr.
- Malḥam, Ālāʾ, & Nuṣayrāt, Jihād. (2021). Al-Qiyam al-Nafsiyyah al-Mustanbaṭah min al-Ḥiwār bayna al-Mustaḍʿafīn wa-al-Mustakbirīn fī al-Qurʾān al-Karīm (Psychological Values Derived from the Dialogue between the Oppressed and the Arrogant in the Holy Quran). Al-Ṣirāṭ, 23(3), 203-236.
- Maʿbad, Muḥammad. (2005). Nafaḥāt min ʿUlūm al-Qurʾān (Whiffs from Quranic Sciences. Cairo: Dār al-Salām.
- Qatanany, Ahmed Abedalqader Hasan, Scenes of dialogue between leaders and their followers in the Holy Qur'an: An analytical study, Ulum Islamiyyah, VOL: 37, NO: 03, 143-153. https://doi.org/10.33102/uij.vol37no03.715
- Quṭb, Sayyid. (2003). Fī Ẓilāl al-Qurʾān (In the Shade of the Quran). Cairo: Dār al-Shurūq.
- Quṭb, Sayyid. (2004). Al-Taṣwīr al-Fannī fī al-Qurʾān al-Karīm (Artistic Imagery in the Holy Quran). Cairo: Dār al-Shurūq.
- Quṭb, Sayyid. (2006). Mashāhid al-Qiyāmah fī al-Qurʾān (Scenes of the Resurrection in the Quran). Egypt: Dār al-Shurūq.